ومضى رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد …

تمهيد:

مِن المفاهيم المنتكِسة والأحوال المنعكِسة لدى فئامٍ من النّاس أنّ رمضان شهرُ العبادة وهَجر الموبقات، فإذا تولّى اندفعوا في الشّهوات والمعاصي اندفاعَ الأعشى، وهذا ما يُدهِش اللبَّ ويشِي برقّة الدّين وضعفِ الإيمان، وإلاّ فبأيّ كتابٍ أم بأيّة سنّة يكون المسلم في رمضانَ متنسّكًا وفي شوّال متهتّكًا؟! أولَيسَ ربّ الشهور واحدًا وعلى الأعمالِ مطّلعًا مشاهدًا؟! وأيّنا يضمن الرّضا عن حاله وقَبول أعماله؟!

أولاً: إن الرجوع والنكوص عن العمل الصالح هو من الموبقات:

١- روى أحمد في المسند بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ].

٢- والله جل وعلا يقول: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا" [النحل:٩٢]. فإياك أخي الكريم من نقض الغزل بعد إبرامه وغزله، أرأيت لو أن امرأة غزلت غزلاً وقد استغرق منها شهراً كاملاً، فصنعت بذلك الغزل أجمل ما يصنعه الغزّالون، لكنها حينما كمل وجمل وأعجبها منظره جعلت تقطع خيوطه وتنقض محكمه, وتحله خيطاً خيطاً بدون سبب، فماذا عسى أن يقول الناس عنها؟ ذلك هو حال من يرجع إلى المعاصي والفسق والمجون ويترك الطاعات والأعمال الصالحة بعد رمضان. فبعد أن كان يتقلب في جنان العبادة وبساتينها إذا هو يتنكب عن الطريق فيتقلب في أوحال المعصية والفجور، فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.

٣- وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا

مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ]. فلا يُقْتَصَرُ الخير على شهر رمضان فحسب، فطالما كان الإنسان حياً لزمه الاستزادة من كل خير، ولاحظ العبارة: (من كل خير).

٤- وهذا كله إنما هو استجابة لأمر الله جل وعلا: "وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ" [الحجر:٩٩]، فلا منتهى للعبادة والتقرب إلى الله إلا بالموت.

٥- والقلب هو أكثر الجوارح تقلباً في الأحوال، ففي المسند عن أبي موسى الأشعري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ]، وفي سنن الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ].

٦- قال تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ" [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]،

٧- وقيل للإمام أحمد رحمه الله زمن اشتداد محنة خلق القرآن: (متى الراحة؟ قال: عند وضع أول قدم في الجنة).

#ثانياً: أين أثر رمضان في نفوسنا؟ فلا قيمة لطاعة تؤدَّى دون أن يكون لها أثر من تقوى أو خشية:

١- أين أثر رمضان بعد انقضائه إذا هُجر القرآن، وتُركت الصلاة مع الجماعة، وانتُهكت المحرمات؟!
٢- أين أثر الطاعة إذا أُكل الربا، وأُخذ أموال الناس بالباطل؟!
٣- أين أثر الصيام إذا أُعرض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العادات والتقاليد، وحُكّمت القوانين الوضعية؟!
٤- أين أثر الصيام والقيام إذا تحايل المسلم في بيعه وشرائه، وكذب في ليله ونهاره؟!
٥- أين أثر رمضان إذا لم تقدّم دعوة هداية إلى ضال، ولقمة إلى جائع، وكسوة إلى عارٍ، مع دعاء صادق بقلب خاشع أن ينصر الله الإسلام والمسلمين، ويدمّر أعداء الدين؟!

لقد تعلمنا في مدرسة رمضان أنجع الدروس وأبلغ المواعظ، تعلّمنا كيف نقاوم نزغات الشيطان، تعلمنا كيف نقاوم هوى النفس الأمارة بالسوء، تعلمنا كيف ننبذ الخلاف وأسباب الفرقة. لقد تراصَّت الصفوف

في رمضان، فينبغي أن لا تتناثر بعد رمضان، لقد سكبت العيون الدموع في رمضان، فاحذر أن يصيبها القحط والجفاف بعد رمضان، لقد اهتزت جنبات المساجد، ولهجت الألسن بالتهليل والتحميد والدعاء، فليدم هذا الجلال والجمال بعد رمضان، لقد علا محياك في رمضان سمت الصالحين، ذلٌّ وخضوع، إخباتٌ وسكينة، وقارٌ وخشية، فلا تمحه بعد رمضان بأخلاق الزهو والكبر والبطر والسفه، لقد امتدت يداك في رمضان بالعطاء، وأنفقت بسخاء، فلا تقبضها بعد رمضان.

ثالثاً: لقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات:

فلقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات، فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة عمل السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وتكميلاً لها، وتوطيناً للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكرم خصالها، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارة لها، ووقاية من خطرها وضررها ...

قال تعالى : "إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّـيِّئَـٰتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ".

روى أحمد والترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: [قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ]. فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة تتبعها، فإتباع الحسنات بالحسنات علامة على قبولها وتكميلاً لها، وتوطينًا للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكريم خصالها، ويتبع السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها وضررها.

رابعاً: إن الاستقامة على الطاعة والاستمرار على التقيد بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والزواجر هي صفات عباد الله المؤمنين:

قال تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ"

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على ملازمتها، قال تعالى: "فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ".

والاستقامة مفتاح للخيرات، وسبب لحصول البركات، واستقامة الأحوال، قال تعالى: "وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَـٰهُم مَّاء غَدَقاً"،

روى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال: [قل: آمنت بالله، ثم استقم].

فاستقم أخي الكريم على طاعة مولاك في كل وقت وحين، فإن عمل المؤمن ليس له أجل دون المـــوت، ولا تكن من الذين يقبلون على الطاعات في زمن، ويعرضون عن ربهم في سائر الأوقات.
قال تعالى: "وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ"

#خامساً: أخي الكريم، هل بعد رمضان تركت الحسنة وأقبلت على السيئة؟

١= بئس العبد لا يعرف الله إلا في رمضان , إن كان الصوم المفروض قد انقضى فإن من نافلة الصوم :
روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـــالَ: [مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ]. وفي هذا نتلمح الاستقامة والمداومة على عبادة الصيام، فليست الصيام الواجب في رمضان فحسب، بل هي عبادة مستحبة في غير رمضان، ويريدك الشارع الحكيم أن تواظب عليها عقب رمضان.

٢= بئس العبد عبداً لا يصلي قيام الليل إلا في رمضان ، ولئن كانت التراويح قد انقضى وقتها، فإن قيـــام الليل ما يزال مشروعاً مرغباً فيه:
صح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: [من قام في ليلة بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام في ليلة بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين]. وفي رواية [كتب من الـــذاكرين الله كثيراً].
فيا عباد الله لا تكونوا كمن كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل,
فقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل ثم ترك قيام الليل].
وصح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل].
وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: [أيها الناس! افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصـــلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام].

٣= بئس العبد عبد حافظ على الرواتب والنوافل في رمضان فلما انقضى رمضان تركها،
عباد الله دونكم الرواتب فالزموها، وهي اثنتا عشرة ركعة, ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتـــان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء,
ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: [من صلى لله في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة].

والوتر يا عباد الرحمن فلا تضيعوه, صح في المستدرك وصحيح ابن خزيمة عن علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وعلي آله وسلم أنه قال: [أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله وتر يحب الوتر].

٤= بئس العبد عبداً كان حريصاً على ختم القرآن في رمضان، فلما انقضى رمضان أعاد المصحف إلى علبته الفاخرة، ثم وضعه على الرف

عباد الله كتاب الله، فلا تضيعوه، قال تعالى : "وقال الرسول يا ربي إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"
وروى الترمذي عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر على رأس العبد ما دام في صلاته، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه]، يعني القرآن.

٥= بئس العبد عبداً كان يحرص على ذكر الله تعالى في رمضان والتسبيح، حتى كانت السبحة في يده لا تكاد تفارقه، يحركها أمامك وهو يكلمك، ويضعها على مكتبه وهو يحادثك، وإذا أحس أنك لم تلحظها في يده يكاد يرفعها فوق رأساً ملوحاً بها لك ليتأكد أنك قد رأيتها وعلمت أنه مسبح لله تعالى، ثم أين التسبيح؟

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً"،
وقال: "والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً" .
روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها ثم مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى].
وروى أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أن رجلا سأله فقال أي الجهاد أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، قال: فأي الصالحين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص، ذهب الذاكرون بكل خير!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل] .
وروى الطبراني في الصغير والأوسط عن جابر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ما عمل آدمي عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى، قيل ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع].
وفي المسند عن معاذ بن جبل أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله].
وفي المعجم للطبراني وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : [أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله].

٦= **بئس العبد عبداً عَمَّرَ المساجد في رمضان**، لبس العباءة والطاقية والسبحة في يده، فكان لا يصلي إلا في الصف الأول، شيخ سجادةٍ يضعها على كتفه، شيخ زبيبة يحفرها على جبينه، ثم بعد رمضان أين هو وأين المسجد؟

ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاةٍ ما انتظر الصلاة].

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة].

وفي السنن والمستدرك للحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له. قالوا وما العذر؟ قال : خوف أو مرض].

٧= **بئس العبد عبداً أمر نساءه في رمضان بالحجاب**، فألزمهن لُبْس الطرحة وترك المكياج وعدم الخروج من البيت متعطرات بصنوف البارفانات وعدم لبس الملابس الضيقة الفاتنة، فلما ذهب رمضان أذِنَ لهن في عكس ذلك.

٨= **بئس العبد عبداً كان حريصاً على الإنفاق من ماله على الفقراء والمساكين وموائد الرحمن**، فلما انقضى أمسك يده.

عباد الله افعلوا الخير فلا تعدموه، قال تعالى : "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون".

وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم وجعلكم مستخلفين فيه فإن لله ملائكة يقولون: [اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً]

وقال تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين".

٩= **بئس العبد عبداً عَظَّمَ ربه في رمضان أن يعصيه بقول أو فعل، فلما انقضى رمضان سقطت هيبة الله في قلبه.**

عظموا الله بتقديره وإجلاله: "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه",

عظموه بتعظيم شعائره, قال تعالى: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب",

عظموه بتعظيم حرماته: "ذلك ومن يعظم شعائر الله فهو خير له عند ربه",

عظموه فذلك خير لكم عند ربكم، قال تعالى: "ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم".

سادساً: أخي الكريم، لا تغتر بما صدر عنك من طاعات في رمضان:

فلعلك صمت فأتممت، فأعجبتك نفسك، ولعلك قمت في التراويح والتهجد وتعبت فأعجبتك نفسك، ولعلك قرأت القرآن وختمت فأعجبتك نفسك، ولعلك اعتكفت في العشر الأواخر فأعجبتك نفسك، ولعلك الآن منتفشاً تمشي اليوم كما يمشي الصالحون متصنعاً مشيتهم، تظن أن أحداً لم يأتك قبلك بمثل ما أتيت، أو أن أحداً لن يأت بعدك بمثل ما أتيت، ولعل لسان حالك يقول : "يا أرض انهدي ما عليك قدي"

فلطمة على قفاك لتفيق : روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ].

ففي هذا الحديث فائدة عظيمة : فمن ذلك أن العمل وحده لن يكفي للنجاة من عذاب الله عز وجل والفوز بجنة الله، بل لابد من الاضطرار إلى رحمة الله عز وجل وعفوه، فقد قال بعض السلف: ينجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة برحمة الله، ويتقاسمون الدرجات بالأعمال.

فإن قال قائل قال الله تعالى: "وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون"، وقال تعالى: "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية".

فالجواب أن الباء المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم: [لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله] هي باء العوض والمقابلة، فالعمل مهما كان عظيما لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل، حتى ولو كان أفضل العمل، وهو عمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف يكون العمل مقابلا لجنة الله عز وجل، والجنة خلود في أعظم النعيم، وكم يعيش المؤمن في الدنيا حتى يكون عمله مقابلا لجنة الله، فالباء المنفية في الحديث هي باء العوض والمقابلة، كما تقول: أعطني كذا بكذا، فليس هناك عمل يساوي الجنة.

أما الباء في قوله عز وجل: "بما كنتم تعملون"، وفي قوله عز وجل: "بما أسلفتم في الأيام الخالية" فهي باء السبب، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، والسبب لا يستقل بنفسه، بل لابد من رحمة الله عز وجل وعفوه.

فإن قيل: قال الله عز وجل: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم".

فالجواب أن الله سبحانه وتعالى خاطب العباد بما يتعارفونه بينهم، فقد جعلهم الله عز وجل بائعين في هذه الآية، كما جعلهم مقرضين في قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون". مع أن الذي يقترض يكون محتاجا، والله عز وجل هو الغني، وما سواه فقير إليه كما قال تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد". فلما كان القرض يرد مرة ثانية إلى صاحبه، والصدقة تعود على صاحبها، أوفر ما كانت في الآخرة، سمى الله عز وجل ذلك قرضا، مع أنه لا يشبه القرض في كل شيء، فكذلك هنا ندب الله عز وجل العباد إلى بذل نفوسهم لله عز وجل بما يتعارفونه بينهم، بجعلهم بائعين لنفوسهم، مع أنه لا يشبه البيع من كل وجه.

وكيف تكون الجنة ثمنا للعمل الصالح، والعمل الصالح والتوفيق له هو في حد ذاته نعمة من الله ؟؟؟

فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين، ولهذا يقول أهل الجنة عند دخولها: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق". فلما اعترفوا لله بنعمته عليهم بالجنة وبأسبابها من الهداية، وحمدوا الله على ذلك كله، جوزوا بأن نودوا: "أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون".

فالله عز وجل يحب من العباد أن ينسبوا الفضل لله، والحمد كله لله عز وجل، وأن ينسبوا العيب والذنب إلى أنفسهم، فلما قال أهل الجنة هذه المقالة التي يحبها الله عز وجل: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق"، كان الجواب: "ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون"، فأثنى الله عز وجل عليهم بأعمالهم.

ومما يؤكد معنى الحديث كذلك أن تضعيف الحسنات إنما يكون بفضل الله عز وجل ورحمته، ومغفرة الذنوب والخطيئات، إنما يكون بعفو الله عز وجل ومغفرته، فإذا أراد الله عز وجل أن يرحم عبدا وهب له النعم، وغفر له السيئات، وضاعف له الحسنات، ولو بقيت له حسنة واحدة ضاعفها الله عز وجل له حتى يدخله الجنة، وإذا أراد شقاء عبد حاسبه على نعمه عليه هل وفّى شكرها، فلا تفي جميع أعمال العبد الصالحة في وفاء شكر بضع نعم الله عز وجل على العبد فتبقى بقية النعم بلا وفاء، بالإضافة إلى الذنوب والمظالم، فلابد أن يهلك العبد.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من نوقش الحساب عُذّب]، وفي رواية: [من نوقش الحساب هلك].

فإذا أراد الله عز وجل نجاة عبد عامله بفضله، وإذا أراد هلاك عبد عامله بعدله، نسأل الله عز وجل أن يحملنا على فضله، وأن لا يحملنا على عدله.

قال بعض السلف: إذا بسط فضله لم يبق لأحد سيئة، وإذا جاء عدله لم يبق لأحد حسنة.

فالعمل والاجتهاد في الطاعة وحده لا يكفي للنجاة من عذاب الله والفوز بجنة الله عز وجل كان داود الطائي يجتهد في العبادة والعمل الصالح، حتى قال محارب بن دثار: (لو كان داود في الأمم السابقة لقصّ الله عز وجل علينا من خبره). فلما مات رحمه الله قام ابن السماك بعد دفنه يثنى عليه بـصالح عملـه ويبكى، والناس يبكونه، ويصدقونه على مقالته، ويشهدون بما يثنى به عليه، فقام أبو بكر النهشلي فقال: (اللهم اغفر له وارحمه، ولا تكله إلى عمله، فمهما كان عمل العبد لو وكِل إليه هلك).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم، وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة، فضلا عن أن يوجب في نفسه الوصول إلى أعلى ما في الجنة من منازل المقربين والنظر إلى وجه رب العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته، فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية، وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنته عليه. فلا يغتر العبد بعمله، بل ييأس من نفسه وعمله، ويعلق قلبه بالله عز وجل، قال الله تعالى: "فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار". فالإيمان والهجرة والجهاد والشهادة لا يكفي بمجرده حتى يكفر الله عز وجل سيئات العباد، ويدخلهم الجنة فلا بد لهم من عفو الله عز وجل ورحمته)أهـ.

قال بعض السلف: (الآخرة إما عفو الله أو النار، والدنيا إما عصمة الله أو الهلكة).

وكان محمد بن واسع يودع أصحابه عند موته ويقول: (عليكم السلام، إلى النار أو يعفو الله).

أخي الكريم: كان دأب الصالحين ولا يزال: خوفهم من عدم قبول الأعمال الصالحات التي تقربوا بها لله تعالى،

ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: [سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ]،

قال الحسن البصري: (أدركت أقوامًا لو أنفق أحدهم ملء الأرض ما أمن، لعظم الذنب في نفسه).

<u>الخطبة الثانية</u>

#سابعاً: صيام ست من شوال:

إن الشارع الحكيم قد سنّ لكم صيام الست من شوال، وجعل ذلك من متابعة الإحسان بالإحسان، فقد روى مسلم عن أبي أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر كله].

ووجه كون صيام الست بعد رمضان كصيام الدهر هو أن الله جل وعلا جعل الحسنة بعشر أمثالها كما في قوله: "مَن جَاء بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" [الأنعام:١٦٠]. فصيام رمضان يُعدُّ مضاعفاً بعشرة شهور، وصيام الست بستين يوماً، فيتحصّل من ذلكم أجر صيام سنة كاملة.

والأفضل في صيامها أن تكون على الفور بعد يوم العيد، وأن تكون متتالية، ومن فرق بينها فلا بأس.

كما أنه لا يجوز تقديم صيام الست على أيام القضاء من رمضان؛ لأن من شروط حصول أجر الست من شوال أن يكون المرء قد صام رمضان بأكمله، وبذلك يكون المرء كأنما صام عاماً بأكمله.

إخوتي الكرام: هاهي الأمة قد ودّعت رمضان، لكنها لم تودِّع مآسيها الدامية وآلامها المبرحة، وهي تمر اليوم بمحن عظيمة، وجراح عميقة، ترى جراحها في القدس وفي مواقع أخرى ملتهبة، حربٌ شرسة لتنحية الإسلام، وتجفيف منابعه من أعداء الإسلام، متجاوزين كل الحدود والأعراف. لقد امتُحنت الأمة بصنوف المكر وأثقال المصائب، وكان بعض ذلك كافياً للقضاء على غيرها من الأمم إلا أن قوة العقيدة والإيمان ينابيع عذبة تتجدد رغم المصاعب، وأن الغد المأمول لهذه الرسالة، والواجب على المسلمين نصرة قضايا أمتهم، والتحلي بالصبر وضبط النفس، والإخلاص في الدعاء، والاستعانة بالله أمام العواصف العاتية حتى تنقشع الغمة وينكشف الكرب، "وَمَا ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ" [فاطر:١٧].

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته.